OPEN ACCESS
Journal of Islamic & Religious Studies
ISSN (Online): 2519-7118
ISSN (Print): 2518-5330
www.uoh.edu.pk/jirs

JIRS, Vol.:5, Issue: 2, July - Dec 2020,
DOI: 10.36476/JIRS.5:2.12.2020.09, PP: 19-39

نظرات حول مصدريّة القرآن الكريم للسيرة النّبويّة: دراسةٌ في المنهج والمعالم التربوية

The Holy Qur'ān as a Source for Al Sīrah al Nabawiyyah: An Analytical Study of the Selected Methodologies

Dr. Kaltham Omar Almajid Almhairi
Assistant Professor, Department of Islamic World Studies
Zayed University, Dubai, UAE

Version of Record Online/Print: 01-12-2020
Accepted: 01-11-2020
Received: 31-07-2020

Abstract

This study dealt with the issue of the Holy Qur'ān source of the Prophet's Biography. This study introduces the general methodologies used by the researchers who have made the Noble Qur'ān as a source in the presentation of the Prophet's biography. It gives a quick overview of the most prominent features of their curricula, to benefit from them in formulating a curriculum for studying the Prophet's biography by relying on the Holy Qur'ān as a source. Moreover, this research highlight the features of the Noble Qur'ān curriculum in listing the events of the Prophet's biography and knowing the extent to which the commentators have benefited from the Holy Qur'ān's approach and their most important means of understanding its texts. The Analytical deductive approach is used to identify the best way to study the Prophet's biography by relying on the Holy Qur'ān as a basic source in reporting the events of the biography as per the Qur'ān's guidance.

Keywords: *al Sīrah, biography, source, interpretation, method*

CC BY

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على خيرة الخلق أجمعين، مُحَمَّد بن عبد الله؛ رسولِ الرّحمة وقائدِ الغُرِّ الـمُحجّلين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد،،،

فقد تعدّدت مصادر السّيرة النّبوية، وكانت فاتحتها "مجموعة الأخبار والآثار التي تناقلها الرعيل الأول من السلف الصالح ممّن أدركوا عصر النبوّة"[1] ومن بعدهم، ثم اشتُهرت المصادر التاريخية المدوّنة التي كانت باكورتها – في التدقيق والتهذيب– السيرة النبويّة لإبن هشام، وما تلاها من مصنّفات حذتْ حذوها. ويُضافُ لذلك ما حوته السنّة النبويّة من ذخيرة كشفت عن أحداثٍ وتشريعاتٍ. ومع تعدُّد تلك المصادر وتنوّعها إلّا أن كتاب الله تعالى هو خير مصدر للسيرة النبوية؛ وذلك لقطعيّة ثبوت النّص القرآني؛ بسبب التّواتر وحفظه من التّغيير والتّبديل، إضافةً إلى البيان القرآني المعُجز الذي يُظهر أحداث السّيرة ومعالم النّبوة بمنهج بديع في أسلوبه المحكم الرّصين، لتحقيق هدف القرآن وغايته؛ وهو الهداية والإرشاد.

وعلى الرّغم من هذه الأهميّة التي تفرّد بها القرآن الكريم على غيره من المصادر؛ إلا أنّ موضوع هذه المصدرية لم يلقَ العناية الوافية التي تُبرز أهمّ ملامح منهج القرآن الكريم في إيراد السيرة عرضاً وأسلوباً، إلا ما ورد في عُجالةٍ في كتاب "السيرة النبوية في القرآن الكريم" تأليف عبد الصبور مرزوق. نشرته رابطة العالم الإسلامي. دط، دت، وكتاب "سيرة الرسول ﷺ ، صور مُقتبسة من القرآن الكريم" تأليف مُحَمَّد عزّة دروزة، منشورات المكتبة العصرية، دط، دت. وكذلك منهج المفسرين في إيراد نصوص السيرة تبعاً لروح النصّ القرآني. كما تجدر الإشارة إلى كتاب السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبو شهبة، صادر عن دار القلم بدمشق، دط، 1988م. وهو كتاب ضخم مكون من قسمين، وفيه دراسة وافية لأحداث السيرة النبوية، اعتمد فيها على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلم، ولكنه اهتمّ اهتماماً واضحاً بالتطبيق؛ فلم تكن دراسته مَعنِيَّةٌ بالمنهج والأساليب التي يُعنى بها البحث الذي بين يدينا.

ولهذه الغاية عُني البحث بدراسة الكتب التي تناولت السيرة النبوية باتخاذ القرآن الكريم مصدراً لها؛ وذلك بدراستها عرضاً ونقداً، للإفادةِ منها في تحقيق الهدف الأساسي للبحث، وهو التأصيل لهذا الموضوع؛ وذلك لمعرفة مدى إمكانية الاعتماد على القرآن الكريم مصدراً وبيان كيفية ذلك وأسسه.

ونظراً لأهمية تأصيل هذا الموضوع جاء البحث الذي بين يدينا لمناقشة الآتي:

1. التّعرف على المنهج العامّ لدراسات الباحثين الذين اتخذوا القرآن الكريم مصدراً في إيراد السيرة النّبوية من خلال عرض سريع لأبرز ملامح مناهجهم ونقدها للاستفادة منها في صياغة منهج دراسة السيرة النبوية بالاعتماد على القرآن الكريم مصدراً.
2. إبراز ملامح منهج القرآن الكريم في إيراد أحداث السّيرة النّبوية ومعرفة مدى استفادة المفسرين من منهج القرآن الكريم في الإيراد وأهم وسائلهم في فهم نصوصها، للتّعرف على الطريقة المثلى في دراسة السيرة النبوية بالاعتماد على القرآن الكريم مصدراً أساسيا في إيراد أحداث السيرة وفقا لهدايات القرآن ومقاصده في النّزول.

الدّراسات السّابقة:

لم أجد في حدود بحثي دراسةً تطرّقت إلى بيان منهج القرآن الكريم في إيراد أحداث السّيرة، أو لبيان منهج

تلك الكتب التي اعتمدت على البيان القرآني في عرض أحداث السّيرة، إلاّ ما ورد في بعض الكتب والمقالات من إشارات طفيفة، ومن هذه الدّراسات:

- كتاب "السيرة النبوية في القرآن الكريم" لعبد الصبور مرزوق: لخّص في كتابه أهمّ ملامح منهج القرآن الكريم في إيراد السيرة، وهي ذات أهميّة، وتُعدّ خلاصة دراسته لموضوعات كتابه، كما يُعدّ نموذجاً تطبيقياً لعرض أحداث السيرة النبوية كما وردت في القرآن الكريم.
- كتاب "سيرة الرسول ﷺ ، ومعالمها من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة" لمحمد إسماعيل إبراهيم. أشار في مقدّمته إلى ما اختصّت به الآيات المكيّة والمدنية من أحداث وما تميّزت به أحداثُ كلٍّ موضعٍ منهما. ثم عرض لمعالم السيرة النبويّة في القرآن الكريم فخصّص لكل فترةٍ زمنيّة من السيرة النبويّة أحداثاً معيّنة، وحدّد السور التي نزلت فيها. ثم شرع بسرد الأحداث مستعيناً بمصدرها من القرآن الكريم، ومعززاً بتفصيلٍ لها من مصادرٍ أخرى. وبهذا العرض يتضح أنه اهتمّ بالدرجة الأولى بالجانب التطبيقي لعرض السيرة النبوية باستمداد أحداثها من القرآن الكريم وغيره، دون تفصيلٍ وافٍ للمنهج القرآني في عرض السيرة النبوية.

وقد جاءت الدراسة التي بين يدينا لتُضيف إلى ما سبق إبراز منهج الكتب التي اتخذت القرآن الكريم مصدراً للسيرة، ولتُلقي الضوء على مناهج المفسرين في عرض أحداث السيرة وكيفية الربط الموضوعي لها. ولتُناقش في ثنايا عرض موضوعات البحث جمال عرض السيرة النبوية وعظمة تلقّيها من القرآن الكريم، ومدى تأثير ذلك التّلقّي في نفس القارئ.

منهجية الدراسة:

المنهج الذي اتبعته الباحثة في هذه الدّراسة هو المنهج التحليلي الاستنباطي، والذي يقوم على اختيار نماذج من الآيات التي عرضت أحداث السيرة، وتحليلها لبيان مضامينها وأسلوب القرآن الكريم في إيرادها، ومن خلال النظر في الوحدة الموضوعية والسياق، ثم استخلاص أبرز ملامح المنهج الرباني في إيراد الأحداث، ومن خلال استقراء بعض الكتب التي أُلِّفت في السيرة باعتماد القرآن الكريم مصدراً لها، ثم استنباط أهم ملامح منهج تلك الكتب، لفهم الحدث من خلال القرآن الكريم تبعاً لمقصده العام وحكمته في الإيراد.

وهذا جُهدُ المُقِلّ، فإن أحسنتُ فمن الله تعالى، وإن أسأتُ فمن نفسي وتقصيري. وأسألُ الله تعالى أن ينفع به. والحمد لله ربّ العالمين

خطّة الدراسة:

جاءت هذه الدّراسة في تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة فيها أهمّ النّتائج والتوصيات.

التّمهيد: وفيه عرض موجز لمفهوم السيّرة، وأهم مصادرها، ونبذةٌ من فوائدها التربوية.

المبحث الأول: بعنوان: منهج القرآن الكريم في عرض أحداث السّيرة النّبوية؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التّنوع والشّمول لجوانب أحداث السّيرة في القرآن الكريم، وفوائدُهما التربوية.

المطلب الثاني: أسلوب القرآن الكريم في عرض السيرة، وربطها بالوحدة الموضوعية.

المبحث الثاني: منهج دراسات السيرة النبوية التي اعتمدت القرآن الكريم مصدراً، والفوائد المستقاة:

المطلب الأول: منهج كتاب "السيرة النبويّة في القرآن الكريم" لعبد الصّبور مرزوق.

المطلب الثّاني: منهج كتاب "السّيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير" لعصام بن عبد المحسن الحميدان.

المطلب الثالث: منهج كتاب"السيرة في ظلال القرآن" لعبد الملك الشيباني.

المبحث الثالث: وصف عام وموجز لمناهج المفسرين ونموذج لدراسة تطبيقية للسيرة النبوية.

المطلب الأول: وصفٌ موجز لمناهج المفسرين في تناول أحداث السيرة النبوية.

المطلب الثاني: نموذج لدراسة تطبيقية للسيرة النبوية (من سورة الفتح).

الخاتمة والنتائج والتّوصيات

التمهيد: مقدّمات في مفهوم السّيرة النّبوية وأهم مصادرها ونبذةٌ من فوائدها التربوية

أوّلا: مفهوم السّيرة النّبوية

السّيرة في اللغة؛ هي الطّريقة والهيئة. وقرنها ابنُ منظور بالسنّة أيضاً، فقال: "السِّيْرَةُ" "السُّنّة".[2]

أمّا في الاصطلاح، فقد جاءت تعريفات السيرة النّبوية عند الباحثين تدور حول: "ذكر أحداث حياة النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، وما يتعلق بذلك من أشخاص ووقائع مع ترتيبها ترتيبا زمنياً."[3]

إلاّ أنّ الباحثة لها رأيٌ في قيد "ترتيبها ترتيباً زمنياً"، وذلك لأنّ من قال بهذا التّعريف، لم يُعنَ بالمصادر الأصليّة التي ذكرت أحداث السّيرة كالقرآن الكريم والسنّة النبوية، بل اهتم بزاوية المصادر التاريخية التي عنيت بالسّرد التّاريخي والتّسلسُل الزّمني، وهذا فيه نظر؛ وذلك لتعدّد مصادر السّيرة النّبوية المختلفة في مناهجها وأهدافها وغاياتها.

وعليه يمكن القول: إنّ السّيرةَ في الاصطلاح تشمل حياة النّبيّ ﷺ، وجميع أحداثها وما ارتبط بها من تشريعات وسُنن، مع مراعاة ما تقدّم أو تأخّر من الأحكام التشريعيّة الخاصّة بأحداثٍ ووقائع مختلفة، سواءٌ ترابطت موضوعاتها وتتعددت أزمنَتُها، أم تفرّقت موضوعاتها واجتمعت أزمِنَتُها.

وهذا المعنى يرتبط أيضاً بالأسلوب الأوّل لتدوين السيرة النبويّة حيث "كانت فاتحة المؤلفات في السيرة النبوية العطرة هي مجموعة الأخبار والآثار التي تناقلها الرعيل الأول من السلف الصالح ممّن أدركوا عصر النّبوّة، أو عاشوا في العصور التالية له مباشرة، وكان لهم الفضل الأكبر في حفظ هذا التراث من الآثار والأخبار، ثم دوّنوها مع كل ما تواتر لديهم من معالم السنّة النّبويّة الشريفة، وجميع ما يتعلّق بالرّسول ﷺ وأحواله وأقواله وأفعاله التي صدرت عنه ﷺ خلال العصرين المكي والمدني، وما تضمّنته تلك السنّة المرويّة والأحاديث المتواترة من حقائق مؤكدة تقصّ علينا جوانب كثيرة من حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة وبعدها."[4]

ثانيا: مصادر السّيرة النبوية

تنقسم مصادر السيرة النّبوية إلى مصادر أصلية وأخرى تكميليّة، فالأصليّة هي القرآن الكريم، وكتب الحديث النّبوي، وكتب المغازي والسّير، وكتب دلائل النّبوة، وكتب الخصائص النّبويّة.

والتكميليّة هي بعض كتب البلدان الخاصّة بمكة والمدينة، وكتب التّراجم والطبقات الخاصّة بالصّحابة، والأنساب، وغيرها مما يتحدّث حديثاً مختصراً عن رسول ﷺ.[5]

ثالثا: الفوائد التربوية في دراسة السّيرة النّبوية

إنّ فوائد السّيرة النّبوية لا يمكن حصرها في نقاط محدّدة؛ إذ بها تُدرك البشرية الحاجة لتلك الرسالة، والوقوف

على التّطبيق الأمثل للإسلام في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكِرام، ومعرفة شمائله– عليه الصّلاة والسلام – وخصائصه والآيات والبراهين الدّالة على نبوّته. ولا يخفى أنّ التربية الإسلامية تستقي محتواها من كل موقف من مواقف النبيّ ﷺ ، ومن كلّ تشريع حظي المسلمون به وتمتّعوا بمعانيه وغاياته وأهدافه. وفي المعاني الظاهرة لكلّ توجيه – يردُ في المباحث الآتية– تتضح المعالم التربوية لكتاب الله تعالى في عرض السيرة، كما أنّ مناهج المصنفين في هذا الموضوع والمفسرين، يظهر فيها بصورة جليّة توخي فوائد الأسلوب القرآني ومعانيه التربوية.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في عرض أحداث السّيرة النّبوية

حوى كتابُ الله تعالى جوانبَ كثيرة من سيرة سيّدنا –رسول الله ﷺ –، وتميّزت تلك الجوانب بالتنوّع والشموليّة، وبتعدّد أسلوب العرض. ولا شكّ أنّ كتاب الله تعالى هو "وثيقة تاريخيّة مقدّسةُ للرسالة المحمّدية وعصرها"[6] مما يمكن القول: إنّ السيرة النبوية محفوظةً بحفظ الله تعالى مكلوءةً بعنايته سبحانه. ولهذا تَرِدُ السيرة في كتاب الله تعالى بمنهج رصينٍ، فيه بُلغةُ المسلمين إلى الحق، وفيه الهداية والرشد.

المطلب الأول: التّنوع والشّمول لجوانب أحداث السّيرة في القرآن الكريم وفوائدهما التربوية *

حوى القرآن الكريم أحداثاً ودلالات وإشارات لجميع مراحل حياة النّبي –ﷺ – منذ مولده الشرّيف إلى مماته– عليه الصّلاة والسّلام– وقد تم حصر تلك الدلالات والإشارات فيما يأتي:

1– أبرز أحداث السّيرة (قبل البعثة)

بتتّبع آيات القرآن الكريم، تجد أول حادثةٍ اقترنت بعام مولد النّبي –صلّى الله عليه وسلم– هي حادثة الفيل في قوله تعالى: "**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيل**" {سورة الفيل، الآيات: 3-5}؛ الّتي تجلى من خلالها عظم ساحة بيت الله الحرام عند الله – عزّ وجلّ – كما تجلّتْ فيها مظاهر رعايته سبحانه وتعالى لمقدّساته وإبقائها محفوظةً مكلوئةً بحفظِهِ لتكون الموقع الجغرافي والديني الرئيس للرسالة النبويّة الجديدة، ولخاتمة الرسالات السماوية.

2– أبرز أحداث السّيرة النّبوية (من البعثة إلى الهجرة)

الحدث الأبرز في السّيرة النّبوية هو بدء الوحي وما تلاه فيما بعد، الذي تجلّى في قوله تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَق**} {العلق 1-3}، ثم انقطاع الوحي إلى أن تنزّل قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ**} {المدثر: 1} وذلك للأمر بالدعوة إلى الله، ثمّ نزلت الآيات تتابعاً بعد البعثة؛ فمن ذلك الأمر بالدعوة الجهريّة: {**فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَر**} {الحجر 94} {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين**} {الشعراء24} وبيان نماذج من مواقف المشركين من الدّعوة: {**تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ**} {المسد 1-2} {**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...**} {سورة المدثر1-30}، وتصوير حزن النّبي –عليه الصّلاة والسلام– على وفاة عمّه قبل الإسلام والأمر بالنّهي عن الاستغفار للمشركين : {**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**} {التوبة 113} {**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْت**} {القصص 56} وتخلل ذلك آيات في الرد على المنكرين للبعث والمتعللين بإرث الجدود ومحاولاتهم لثني النّبي –عليه الصّلاة والسلام– وتصوير مؤامراتهم. وبعد ذلك حدثت حادثة الإسراء والمعراج كمنحة ربانية ودفعاً لحزن النبيّ ﷺ والإيذاء الذي ناله عليه الصلاة والسّلام، كما في قوله سبحانه: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً...**} {سورة الإسراء 1}.

3- أبرز أحداث السيرة في القرآن الكريم منذ الأمر بالهجرة إلى المدينة

ابتدأت هذه المرحلة بالإذن للهجرة بعد أن اشتدّ الأذى بالمسلمين، وقرّرت قريش التآمر على قتل النّبي – ﷺ – فذكرت الآيات تفاصيل تلك المؤامرات في قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...} {الأنفال 30} وجاءت الآيات تروي نصرُ الله تعالى للنبيّ ﷺ وصاحبه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...}، وتروي حديث أبي بكر الصّديق- ﷺ- وتوجُّسَه من الكفار وتسلية النّبي- صلّى الله عليه وسلم: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}{سورة التوبة 40}.

4- أبرز أحداث السّيرة النّبوية منذ الهجرة إلى وفاة النّبي -ﷺ -

أوّل حدث يبرز للمتأمّل في القرآن الكريم بعد خروج النّبي – ﷺ – هو تصوير مشاعر الأنصار بمقدم الرسول- صلّى الله عليه وسلم- وصحابته المهاجرين، بقوله تعالى: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِم} {سورة الحشر9}، وفي المدينة المنوّرة حيث بدأت مسيرة بناء الأمّة الإسلامية رافق ذلك مواقف كثيرة أبرزها القرآن الكريم وبيّن ظروفها وأحكامها وتشريعاتها؛ ومن ذلك الإذن بالجهاد، في قوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...} {الحج 39} وفي قوله تعالى:" {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ} {البقرة 190}، وعلى أثر ذلك جاء ذكر العديد من الغزوات والسّير بذكر أحداثها ودلالاتها؛ كغزوة بدر: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ...} {الأنفال 41} وغزوة أحد: {لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ....} {آل عمران، 52}، وغزوة بني النضير كأول غزوة لليهود بعد نقضهم العهد مع رسول الله- ﷺ-: في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ...} {الحشر 2-4} وغزوة الخندق التي يصور فيها من خلال سورة الأحزاب موقف المنافقين وغدر اليهود، واجتماع ملّة الكفر على قتال المسلمين وانتهاء ذلك بالنّصر المبين : {وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ...} {الأحزاب 13} و {إِذْ جَاؤُكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} {الأحزاب 10-11} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ...} {الأحزاب 9} ثمّ صلح الحُديبية وبيعة الرّضوان : {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ...} {الفتح 18} وما تخلّل ذلك في الهدنة التي أُتيح فيها للنّبي -ﷺ – مكاتبة الملوك ورؤساء القبائل لدعوتهم إلى دين الله الحنيف: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ...} {آل عمران 64} ثمّ بعد ذلك الفتح العظيم ؛ فتح مكّة وتحطيم الأوثان كما في قوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} {سورة الإسراء81}.

و لست هنا بصدد حصر الآيات في السيرة النبوية، وإنما تقديم صورة عامة لأهم الأحداث التي وردت في القرآن لبيان التنوع والشمول في العرض، فقد حاول أحدُ الباحثين حصر عدد الآيات التي جاء فيها ذكر رسول الله – ﷺ –، وسيرته العطرة؛ فذكر أربعمائة وستّاً وستين آية؛ وصنّفها بحسب موضوعاتها؛ فشملت سيرة رسول الله ﷺ الذاتية، ونبوّته ورسالته، والغزوات والسرايا، والشّمائل، والخصائص.[7] ولا شك أنّ هذا الحصر غير وافٍ؛ لما يحتويه القرآن الكريم من وثيقة تاريخية لأحداث السيرة النبوية المطهّرة.

وبالنظر إلى الفوائد التربوية للتنوّع والشمول في عرض السيرة النبوية في كتاب الله تعالى فتتجلى في رعاية الله تبارك وتعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلم، وإحاطته بالتدبير الإلهي الذي يُسيّرُ رحلة السيرة النبويّة كما تقتضيها مشيئة الله جل وعلا، لأنها سيرة النّبيّ الخاتم صلّى الله تعالى عليه وسلّم تسليماً كثيراً، الذي قدّر المولى جل وعلا أن يكون

كما وصفه سبحانه بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً} {سبأ، 28} ولا شك أن الهدي الإلهي المترتب على إحاطة القرآن الكريم بالسيرة النبوية يتأثّرُ به كلّ ذي عقل، فتستقيم حياته وتُحكم به عقيدته والتزامه بدينه. كما أن احتواء القرآن الكريم للسيرة النبوية دالٌّ بوضوح كيف حفظ الله تبارك وتعالى شريعة النبيّ الخاتم وأكّد سلامتها واستمراريتها. وحفظ أتباع هذا النبيّ وأمّته من الزّيغِ والضّلال.

المطلب الثاني: أسلوب القرآن الكريم في عرض السيرة، وربطها بالوحدة الموضوعية.

إنّ المتدبر لآيات الذكر الحكيم يلحظ أنّ التّعبير القرآني ببلاغته وبيانه وأسلوبه المعجز يكشف الجانب العملي الذي يظهر في سلوك رسول الله صلّى الله عليه وسلم، تطبيقاً حيّاً؛ لذا فإن الناظر للقرآن الكريم يلحظُ فارِقاً كبيراً في طرحِ موضوعات السّيرة النبويّة، ومعالجة أحداثها عمّا في غيره من المصادر الأخرى؛ ذلك أنّ كتاب الله تعالى قد أحاط بظواهر أحداث السيرة النبويّة، وبِبواطنِها؛ لذا كشف عن أمورٍ لم يكُن بمقدور المؤرّخين الكشف عنها، أو معرفة دوافِعها، أو فهم أسرارها؛ لا سيما تلك الأحداث التي حوتها صلةُ –رسول الله ﷺ – بأزواجه وآل بيته الأطهار، – رضوان الله تعالى عنهم–، وما بيّنتهُ آيات القرآن الكريم من "أحوال النبيّ ﷺ النفسيّة، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن".[8] وما كشفتْهُ من حقائق نُبوّتِه التي تجلّت في بيان خطاب المولى جلّ وعلا له – ﷺ – بقوله سبحانه: "قل" وقوله: "يا أيّها النبيّ" وغير ذلك من مفردات التخصيص؛ **آمراً إياهُ بالتبليغ**، كقوله تعالى:

{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} {سورة المائدة 62} وآمراً إياه بالتّعليم كقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {سورة البقرة189}، وأمره بالمحاججة في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {سورة البقرة11} وماجاءت به الآيات من البيان، كقوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} {سورة البقرة97} وغيرها من الجوانب التي تُظهر خصائص السيرة النّبويّة في القرآن الكريم، وتُظهر أثر إيرادها؛ فإنّ حَدَث السيرة النبوية "عندما يُروى في القرآن الكريم يتحوّل إلى درس كبير يتجاوز ظروف الحدث مكاناً وزماناً وأشخاصاً إلى حيث يصبح قضية عامة، ومبدأ يُعامل به كل المسلمين".[9]

وقد كتب الأستاذ مُحَمَّد عزّة دروزة كتاباً سمّاه **"سيرة الرسول ﷺ ، صُور مُقتبسة من القرآن الكريم"**.[10] وهو – كما يتضح من عنوانه – يُجلّي صوراً من القرآن الكريم حول السيرة النبويّة، ويناقشها بطرح جميل، وقد جعل لهذا الكتاب تميّزاً عن غيره من كتب السيرة النبوية؛ فقد اهتمّ بمحاكمة أحداث السيرة – أيا كان مصدرها – على ميزان القرآن الكريم، وكشف عن الأحداث التي ترويها آيات السيرة العطرة بأسلوب واضح، وبمنهجيّة مُتكاملة جعلتْ من كتابه نموذجاً، يُمكنُ اقتفاؤه في المؤلفات التي تعتمد القرآن الكريم مصدراً لها لكتابة السيرة النبويّة، وإن اختلفت في منهجيّة استقاء موضوعاتها، أو في منهجية صياغتها.

أمّا الوحدة الموضوعية؛ فقد جاءت أحداث السيّرة النّبوية بسياق الآيات تبعا لها وتحقيقا لمقاصد القرآن الكريم في تحقيق الهداية والإرشاد والبناء المعرفي للأحكام التشريعية والمعاملات والآداب وغير ذلك من المقاصد القرآنية؛ ولا يظهر ذلك في نظم أحداث السيرة في سياق الآية بعد الآية فحسب، بل في الوحدة الموضوعية لأحداث السيرة في

السورة نفسها، وكذلك في علاقة السورة القرآنية بما قبلها وما بعدها بما يحقّق التناسب فيما بينها.

وبناءً على ما سبق اتضح أنّ أسلوب القرآن الكريم في عرض السيرة النبويّة يقوم على ذكر أحداث السيرة تبعا لسياق الآيات في السورة نفسها وتناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها كوحدة موضوعية واحدة، لتحقيق الغاية التي ترشد إليها النصوص وفقا لما هو معلوم من ترتيب الآيات والسور إذ لم ترتّب وِفقا لأول وآخر ما نزل أو أي ترتيب زمني آخر؛ روى الترمذي عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال:

"كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا... الحديث". قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ."[11]

وبالرجوع لأقوال العلماء في أوّل ما نزل وآخر ما نزل، وبمراجعتها فإنها تؤكّد للمتأمل أن الترتيب الزمني لأحداث السيرة ليست من خصائص القرآن في إيراد الحدث ، بل تتجلى الوحدة الموضوعية وتناسب الآيات والسور في أسلوب القرآن ونظمه.

المبحث الثاني: منهج دراسات السيرة النبوية التي اعتمدت القرآن الكريم مصدرا.

تعدّدت البحوث والدراسات والمؤلّفات التي اهتمّت بالسيرة النبويّة في القرآن الكريم، وتنوّعت طُرق معالجتها بحسب مناهج المؤلّفين، وتفاوتت درجات اعتمادهم على محتوى الآيات الكريمة، أي بالكشف عن أحداث السيرة النبويّة بناءً على ما تضمّنتهُ وجوه تفسير تلك الآيات وتناسبها مع آياتٍ أخرى ذات صّلة؛ وبتناول تلك البحوث بشيءٍ من التحليل والنقد يتّضحُ ذلك الوصف.

وقد أمْلَتْ دراسةُ البحث الذي بين يدينا، دراسة نماذجٍ من تلك المؤلّفات، ووصف مناهجها؛ فوقع الاختيار على ثلاثة كتب: كتاب "السيرة النبويّة في القرآن الكريم" للدكتور عبد الصبور مرزوق. وكتاب "السيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير". للدكتور عصام بن عبد المحسن الحميدان.[12] وكتاب "السيرة في ظلال القرآن" لعبد الملك الشيباني، دار ابن حزم، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، الجهورية اليمنية. الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م.

المطلب الأوّل: منهج كتاب "السيرة النبويّة في القرآن الكريم" في إيراد أحداث السيرة النبوية.

اتّبع مؤلّف هذا الكتاب المنهج الآتي:

أولاً: اعتمد – في التمهيد للكتاب – على فهمه العام لإشارات القرآن الكريم، حول مواقف معيّنة يرويها كتاب الله تعالى، واتّبع هذا الأسلوب أيضاً في مواضع أخرى من كتابه، بلغت أربعة عشر موضعاً تقريباً.[13] وهذا الاعتماد يجعله في إطار عنوان الكتاب؛ بمعنى أنه استمدّ مفهوم بعض الأحداث مما حواه كتاب الله تعالى من المعاني؛ ففي إطار حديثه عن المجتمع الجاهلي قال: "تدلُّ الإشارات الواردة في القرآن الكريم على أنّ هذا المجتمع الجاهلي كان مؤسّساً على مجموعةٍ من الأعراف والتقاليد، وإن تكُنْ ذات قيمة حضاريّة محدودة، لكنها كانت غير صالحة للاستمرار، ... ذلك لأنها في جملتِها – باستثناء الكرم والشجاعة وإباء الضيم – كانت تُدخل في تقويم الإنسان أموراً خارجة عن جوهر الذات، وما ليس من الذات قابلٌ أبداً للفناء والاندثار. ومن ذلك مثلاً هذه المغالاة المفرطة

بالاعتداد بالأحساب والأنساب...".[14] يتضح بهذا التحليل أنه تحليلٌ قائمٌ على فهم عام لمجموعة من الآيات الكريمة؛ اعتمد عليها في تحديد الوصف العام لحال عرب الجاهلية، وهو وصفٌ يعضُد ما ورد في كتب السيرة في هذا الموضوع.

ثانياً: اتخذ بعض آيات القرآن الكريم برهاناً على بواطِنِ النفوس التي تُفسِّرُ بعض مواقفٍ شهِدتْها أحداثُ السّيرة النبويّة، وكشفَ بذلك عن جوانب ذات أهميّة في حدث السيرة. وفي الوقت نفسه أيّد ما رواه أصحابُ السِّير والمغازي وأكّده. وبهذا الأسلوب لا يزالُ – أيضاً – في إطارِ مفهوم عنوان الكتاب. دلّ على المعنى المذكور قولهُ:

> "ومنها كذلك قوله تعالى في سورة الفتح، مشيراً إلى موقف العناد البغيض الأجوف الذي وقفهُ المشركون من الرسول وصحبه، صلوات الله عليه، يوم الحديبية، وذلك في قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} {سورة الفتح26} وصدق الله؛ لقد كان المؤمنون يوم الحديبية أحقُّ بما أنزل الله عليهم من سكينته؛ لأنهم بالإيمان قد خرجوا من وطأة الجاهلية بحماقاتها الجوفاء التي تمنع – لمجرّد العناد – المحلّقين، المقصّرين المسالمين، من زيارة بيت الله تعالى...".[15]

ثالثاً: وضّح صفة إيراد السيرة النبويّة في القرآن الكريم وتميّزها عن صفة إيرادها في كتب السيرة؛ فذكر في إطار حديثه عن محاججة الكفار في دليل البعث بعد الموت قوله تعالى: {وضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ..... قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: 78 – 83]، قال: "ومرّة أخرى نرى الظالم أبيّ بن خلف يمشي إلى الرسول ﷺ بعظمٍ بالٍ قد ارْفَتّ فقال: يا محمّد أنت تزعم أنّ الله يبعث هذا بعد ما أرمَّ. ثم فتّهُ بيده، ثمّ نفخه في الرّيح نحو رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : نعم أنا أقولُ ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يُدخلك اللهُ النار".[16] هذا ما أوردتْهُ كتب السيرة، أما في القرآن الكريم فترى الحدث يتحوّل إلى نموذجٍ عامّ، يُهمَلُ فيه أصلُ الحدث، ويُشارُ فقط إلى سماته القابلة للتكرار، ويلفتُ فيه الانتباه إلى البديهيّات... لكن هذه البديهية لا تراها الأبصار إذا ضلّت البصائر، ولذا نبّه القرآن إليها وإلى نظائرها؛ مما يبدو جديراً بالعجب والاعتبار... وهذا فرقٌ ما بين السّيرة في السّيرة، والسّيرة في كتاب الله".[17]

رابعاً: اهتمّ الباحث في تفسيره لبعض آيات السيرة النبوية بالمعاني اللغويّة والبلاغية للمفردات، مثال ذلك قوله في وصف الآيات التي تتحدث عن المنافقين: "والحقّ أنّ القرآن الكريم قد عُني بتحديد ملامح هؤلاء المنافقين وسماتهم تحديداً رائعاً، عميق الدلالة، يمكن تلخيص بعضها فيما يلي:

> "أبرز سمات المنافقين هي الكذب، والكذب في مضمونه هو حالة تناقض بين ما يُبطن المرء، وبين ما يُظهر، فيعتقد أمراً ويبدي للناس أمراً آخر، وقد أكّد القرآن الكريم في غير موضعٍ على هذه الصفة في خلائق المنافقين... ولذا كان مُفتتحُ سورة المنافقين إعلاناً ضخماً عن صفة الكذب التي يتّصفُ بها كلُّ منافق، وذلك في قوله تبارك وتعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا

نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2)} {المنافقون: 1، 2} ونلاحظ هذا التأكيد الحاد بـ (أنّ) وبـ (اللام) في قوله (لكاذبون) كما نلاحظ العدول عن ضمير الغائب إلى إعادة ذكرهم في قوله: {إِنّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون} بدل قوله مثلاً: {إنهم لكاذبون}، وذلك لمزيد من التأكيد لتثبيت هذه الصفة التي يوصم بها هؤلاء".[18]

كما اهتمّ بالجانب البلاغي في توضيح صياغة الحدث في كتاب الله تعالى؛ كما في حديثه عن سورة الكافرون؛ قال: "هكذا جاء في السيرة حديثاً هادئاً في أمرٍ ظنّ المشركون أنّهُ قابلٌ للمساومة، أمّا في القرآن الكريم فقد صيغ الحديث بمثابة بيان أو إعلان تحذيري حاسم يُقرّر افتراق الطريق بين الكفر والإسلام في سورةٍ من سِتّ آياتٍ قِصار، تبدأُ أربعٌ منهنّ بحرف النفي (لا) ويتقدّمُهنّ نداء الإنذار، ثمّ يُتْبَعْنَ بقرار الختام الذي تُصبح معه السورة بآياتها أشبه شيء بالبلاغ الحربي الموجز الشديد الحاسم، الذي لا مجال بعده لتردُّدٍ أو جدال".[19]

خامساً: اهتمّ الباحث – كذلك- بتوجيه معاني آيات السيرة النبوية بإيضاح تناسب الآيات، وتكامُل موضوعاتها في بيان قيمة الحدث؛ جاء تفصيل هذا في إطار توضيح قوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} {الحج: 39 – 41} قوله: "وجدير بالملاحظة – كذلك – أنّ هذه الآيات جاءت في مناخ شديد الملائمة من الآيات الأخرى التي سبقتها وأعقبتها، فقبلها جاء قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: 38]، وهو بيان وإعلان للمشركين والطُّغاة أنّ هذه القوّة الجديدة التي ستُعطى الإذن بالقتال قد كُفِلت لها الحماية الإلهية، لأنّها جماعة حقٍّ وخير، وما دامت كذلك تنتصر لما أمرها به الله، فهي منصورة أبداً بأمر الله". {ولينصُرَنّ اللهُ من ينصُره}. ويأتي بعدها آيات تتحدّث في تهديد ووعيد عن أصنافٍ من السابقين كذّبوا رُسَلهم، واعترضوا بالباطل طريق الحقّ؛ فأخذهم الله أخذ عزيز مُقتدر، وذلك في قوله تعالى: {إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج: 42 – 45].

المطلب الثاني: منهج كتاب "السّيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير"

عُني مؤلّف هذا الكتاب بمباحث آيات السيرة النبويّة في كتاب الله تعالى؛ فمهّد بالكشف عن ضرورة تفسير القرآن بالقرآنِ، ثم تفسيره بالسنّة النبويّة. ثم أتى في المبحث الأول باستعراض عام لتلك الآيات، وقد حصرها في عددٍ بلغ أربعمائة وستّ وستون آيةٍ من كتاب الله تعالى، وصنّفها – مُحدّداً سُوَرها وأرقامها – بحسب موضوعاتها، وجعلها في خمسة مباحث؛ قال عنها: "مباحث السيرة النبويّة تشتمل على خمسة عناصر".[20] وبعد استعراضها عقدَ مطلباً لدراستها، ولكنه لم يَعْنِ بلفظ الدارسةِ تناوُل أحداث تلك المباحث الخمسة بالشرح والتوضيح؛ بل اقتصر على الإشارة إلى موضوع كل مبحث منها في فقرة أو فقرتين، مُبيّناً عدد آيات المبحث، ومُعلّقاً تعليقاً عامّاً.

ثمّ تناول المطلب الثالث، وهو بعنوان "تناول كتب السيرة النبويّة لهذه الآيات" فذكر "مغازي عروة بين الزبير، وسيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي" وتكلّم عن كُلٍّ منها بوصف مناهجها في تناول السيرة النبويّة، وهو وصفٌ عامٌ مهّدَ به للمقارنة بينها وبين كتب التفسير في تناول موضوعات السيرة النبويّة.

وفي حديثه عن "تناول كتب التفسير للسيرة النبويّة" في المبحث الثاني، تكلّم كلاماً عامّاً عن كتب التفسير الأولى، واختار من بينها ثلاثة من كتب التفسير بالمأثور، هي "تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي، وتفسير ابن كثير"؛ فتكلّم عنها؛ مُعرِّفاً بمؤلِّفيها، ومُبيّناً قيمتَها، وذكر آيات السيرة التي وردت فيها؛ بناءً على مروياتهم عن أصحاب كتب المغازي؛ كعروة والزهري وابن إسحاق، وآخرون. وتكلّم عن أساليبهم ومناهجهم في شرح آيات السيرة، ووجوه التفاوت بينهم في موضوعات السيرة التي تضمّنتها تفاسيرُهم. واقتصر على حصر الآيات الواردة في هذه الكتب، وتكلّم عن حجم اعتماد مؤلفيها على كتب المغازي.

وبهذه المنهجية اتّضح أنّ كتاب **"السيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير"** لم يقصِد به مؤلِّفهُ احتواء موضوعات السيرة بالشرح والبيان كما وردت في كتاب الله تعالى، واعتماداً على شرح المفسرين لها بحسب مناهجهم. بل اعتنى بموضوعات أخرى يمكن أن تُساعد الباحثين على التعرّف على حجم التفاوت بين كتب التفسير في تناولها لموضوعات السيرة النبويّة، وحجم اعتمادها على كتب السير والمغازي، وكذلك حجم اعتمادها على إيضاح السيرة النبوية، بالاعتماد على المصادر التي تخدم القرآن الكريم، كاللغة، والبلاغة، والروايات المسندة، وغيرها.

المطلب الثالث: منهج كتاب "السيرة في ظلال القرآن"

اعتمد الشيباني على كتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب – رحمه الله تعالى – فجمع ما ورد فيه من موضوعات السيرة النبويّة، وعلّق عليها في المقدّمة بقوله: "ووجدت فيها "أي السيرة النبوية" في صورة حيّة ومتحرّكة ومتجدّدة، ولا يملك الإنسان إلا أن يهتزّ عند كلّ وقفة يقفُها "سيد" مع النصوص، ويبلغ التأثّر حينها غايته".[21] وقوله هذا يفيد أنّهُ اعتمد منهج تفسير "سيد قطب" رحمه الله تعالى، لآيات السيرة النبويّة اعتماداً تامّاً. وأكّد على ذلك في صفحة تالية لمقدّمته؛ وضّح فيها منهجه؛ فذكر أنه ترك كلام سيّد قطب – رحمه الله تعالى – كما هو؛ لأهميّته.[22] وقد جاء عرض السيرة في كتابه بتقسيمها إلى وحدات موضوعيّة يقتضيها العرض التاريخي والأدبي والتربوي.

ومعلوم أنّ منهج سيّد قطب في "الظلال" منهجٌ تربويٌّ أدبي، يعتمدُ على استخلاص الفوائد التربوية، والمواعظ الإيمانية لآيات كتاب الله العزيز، أكثر من تعرُّضه للتفصيلات الأصولية واللغويّة والتاريخية وغيرها مما يُعنى به المفسرون. وعليه فإنّ فائدة كتاب "الشيباني" تبرز فيما قام به من جمع موضوعات السيرة النبويّة. إلا أن تفسيرها في كتابه لا يختلف – كما اتضح – عن الأسلوب العام لتفسير "الظلال" القائم على فهم عموم نصوص السيرة النبويّة، التي تعود في مجملها إلى كتب التاريخ والسِّيَر والمغازي، وكتب السنن. وفي هذا الإطار لم يبلغ الاعتماد على القرآن الكريم كمصدرٍ للسيرة النبويّة، الحدّ الذي يمكن أن يوصف به على هذا النحو.

وبهذا المبحث نخلص إلى أن أهمّ ملامح منهج الباحثين في دراسة السيرة النبوية باعتبار القرآن مصدرا لها يتّصِف بالآتي:

1. جمع الإشارات التي وردت في القرآن الكريم حول الموضوع الواحد من أحداث السّيرة النبوية لتكوين صورة تامة لفهم الحدث من جميع جوانبه وتفصيلاته؛ كما فعل الدكتور عبد الصبور في فهمه لطبيعة المجتمع

الجاهلي وما أحدثه الإسلام من التّغيير.

2. عدم إغفال قضية التّناسب والوحدة الموضوعية كما أشار عبد الصبور في سرد أحداث الإذن بالجهاد، إذ ربط ذلك الحدث في سورة الحج في الآية (38) بما قبلها في السورة نفسها من الآيات التي جاءت ببيان وإعلان للطغاة بأن هذه القوة الجديدة مؤيدة بالعناية الإلهيّة.
3. الدّراسة التّحليلية وذلك بالاهتمام بالدلالات والمعاني والإشارات اللغوية والبيانية لمفردات وجمل القرآن الكريم، كما أوضح عبد الصبور في سياق حديث القرآن الكريم عن المنافقين؛ إلا أنّها لم يُعنَ بها في تلك المصادر بالقدر الوافي والكافي.
4. الاستدلال بآيات القرآن الكريم على فهم ما كان يُحاك في بواطن النّفوس مما يُفسر بعض مواقفٍ شهِدتْها أحداثُ السّيرة النبويّة، فيتمّ بذلك الكشف عن جوانب ذات أهميّة في حدث السيرة، ومن ذلك ما أشار إليه عبد الصبور في سياقه لآيات الفتح وأحداثه، مستلهما من الآيات تصويرها لموقف العناد الذي عبرت عنه قلوب المشركين من حميّة الجاهلية.
5. التّركيز على العبرة من الحدث لا أصل الحدث، وهذا ما وضحّه عبد الصبور في إطار حديثه عن محاججة الكفار في دليل البعث بعد الموت، عندما تحول الحدث إلى نموذج عام ودرس كبير، وهذا ما انصبّ عليه اهتمام الباحثين في تفسير آيات الكتاب، مثل الشيباني في كتابه السيرة في ظلال القرآن.

وخلاصة النّظر تفيد أنّ هذه الكتب سارت في منهجها في إيراد أحداث السيرة على الهدي القرآني في ذكر تلك الأحداث بالاحتفاظ بالوحدة الموضوعية وغيرها من الملامح التي أشير إليها سابقا، لكنّها ظلت مفتقرة إلى صياغة منهج كامل للاعتماد على القرآن مصدراً في السّيرة وهو الدّراسة التّحليلية، والاستعانة بأسباب النّزول لفهم الأحداث فهماً صحيحاً، وممّا يؤكّد أهمية ذلك هو اعتماد المفسرين على المأثور وسبب النزول في تفسير أحداث السيرة حتى وإن اختلفت اتجاهاتهم في التّفسير.

المبحث الثالث: وصفٌ عام وموجز لمناهج المفسرين في تناول أحداث السيرة النبوية، ونموذج لدراسة السيرة النبوية

المطلب الأول: وصف موجز لمناهج المفسرين في تناول أحداث السيرة النبوية

تناول المفسّرون دراسة أحداث السّيرة كغيرها من الموضوعات في القرآن الكريم؛ وذلك بتدبّر تلك الآيات وباستخدام أدوات التّفسير كلاًّ على منهجه وشرطه، فأفصحوا عن دلالات وإشارات ومضامين هذه الآيات اعتماداً على فهمهم للنّصوص القرآنية وما احتوت من معانٍ، وعلى روايات السّيرة المبثوثة في كتب السّير والمغازي والسّنة النّبوية في فهم أسباب النزول للحدث لمعرفة الظروف الزمانيّة والمكانيّة التي أحاطت به؛ فقدّم المفسرون بذلك تفسيراً لأحداث السّيرة؛ تقييماً وحكماً دون الاقتصار على السّرد انطلاقا من غاية القرآن في الإيراد.

ولا شكّ أنّ اهتمام المفسرين بجانب التّقييم والحكم على الحدث تبعا للسّرد القرآني له أثر في تميّز جهودهم بسمةٍ تنفرد عن المصادر الأخرى في تدبّر الآيات التي تروي سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، مُستوعِبةً لقضايا بالغة الأهميّة في حياة المسلمين، كقضايا التشريع والمعاملات والعبادات، والأخلاق، ولا مبالغة إن قُلنا إنها جاءت تروي دستوراً نبويّاً حافلاً بتوجيهات ترعى حياة الإنسان بقسميها؛ حياة الدنيا والآخرة، إلاّ أنها لا تستغني عن معرفة

الزمان والمكان وأسباب النزّول كأداة من أدوات تفسيرها. وقد ساعد تنوّع كتب التفسير، وتعدّد مناهجها في إبراز أحداث السيرة النبوية وبيان جوانب الحدث، ومضامينه، والظروف العديدة التي أثّرت فيه. بما تضمّنتهُ تلك المناهج من معالجات تكشف عن زيادات حسنة فيما يُروى من الأحداث؛ فتُتمُّ بذلك نقصاً، أو تروي به مضموناً خفيّاً لم تستوعبه كتب السيرة.

وفي الجانب الآخر في حين تظهر رواية أحداث السّيرة النبويّة في كتب السِّير والمغازي، مُتسلسِلةً تسلسُلاً تاريخيّاً مستوعِباً، فإنّها لا تظهر بهذا الأسلوب في كتاب الله تعالى، وهذا معلومٌ لأنّ ترتيب السّور في القرآن ليس ترتيباً زمنياً. وإنّ الناظر في هذه الآيات العطرة يلحظُ أنّها تعرض أحداث السيرة النبويّة بأسلوب لا يجعل التاريخ حاكماً عليه، بل تُعرضُ بحسب ما تقتضيه الآيات من وجوه الإعجاز في إظهار مراد الله تبارك وتعالى في رواية الحدث وفي التربية والتعليم، والبيان؛ وما يتّسِمُ به ذلك العرض من تعدُّد جوانب المعرفة، وتنوّعها.

وممّا ينبغي الإشارة إليه في هذا الصّدد أنّ أهم ثلاثة تفاسير معاصرة قد استفادت من تفاسير الأوّلين مع إضافة طرق مبتكرة في تفسير آيات الكتاب وخاصّة ما يتعلق بأحداث السيرة؛ هي، كتاب التفسير المنير للزحيلي، وصفوة التفاسير للصابوني، والأساس في التفسير لسعيد حوى. حيث رسمت تلك الكتب منهجا مبتكراً يقوم على خطوات تسلسلية منهجية واضحة، تقوم على تقسيم الآيات إلى مجموعات ثم وضع عناوين منهجية (سبب النزول، المناسبة، المعاني، البلاغة والبيان، الدروس المستفادة والعبرة والحكم الفقهية والتشريعية)، كلٌّ منهم عبر عن ذلك بلفظه وطريقته، ممّا يُبشِّرُ بإمكانية الإفادة منها في بناء صرح جديد في اعتماد القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبوية، وتصنيف تاريخ متكامل لها، يُراعى فيه منهج القرآن ويُستقى فيه من هديه.

المطلب الثاني: نموذج لدراسة تطبيقية لأحداث السيرة في سورة الفتح

وبناء على ما توصلت إليه الباحثة من نتائج في المباحث السابقة فإنّها تضع التّصور الآتي لدراسة أحداث السيرة النّبوية بالاعتماد على القرآن الكريم مصدراً؛ بالجمع بين المنهج الموضوعي للحدث الواحد، ثمّ استخدام منهج المفسرين بالاستعانة باللّغة وأساليبها ، والاستعانة بالمأثور وأسباب النّزول، على النّحو الآتي:

1. جمع أجزاء الحدث الواحد من الآيات المتفرّقة بحسب ترتيب المصحف.
2. دراسة النّص في إطار سياقه وأسباب نزوله، لفهم التّنزيل وما يراد به من العامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، وتفسير المتشابه منه، وبيان مجمله، وهذا أيضا لم تتناوله تلك المصادر بالقدر الوافي على اعتبار أنّ دراساتهم تعتمد اعتماداً كليّا على القرآن مصدراً للسيرة النّبوية، والحقيقة أنّ القرآن الكريم وبيانه في السنّة النّبوية لا ينفصلان، يقول الله تعالى:{مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)} [النحل: 43، 44]، مع ملاحظة اختيار الأصح.
3. دراسة التّناسب والوحدة الموضوعية بين السور والآيات التي تتضمن الحدث.
4. دراسة تلك الآيات دراسةً تحليليّة لمعانيها وأساليبها وبيانها وبلاغتها ومضامينها بالاستناد إلى كتب التفسير المشهورة.
5. استنباط الدلالات والإشارات في آيات الحدث للتوصل للعبرة والدّروس المستفادة.

وفي هذا المبحث تورِدُ الباحثة محاولة تطبيقية لتصميم نموذج لإيراد أحداث السيرة اعتماداً على المنهجية التي تقرّرت سابقاً بالاستعانة بمناهج المفسرين، رجاء تحقيق التكامل بينها في إيجاد طرح جديدٍ للسيرة النبويّة.

وقد تمّ اعتماد دراسة آيات من سورة الفتح في كتب التّفسير؛ ابتداءً من الآية الثامنة عشرة إلى آخر السورة؛ أي الآية التاسعة والعشرون؛ وذلك بانتقاء بعض آيات هذا الجزء؛ أي ما أمكن بلورته في أحداث متسلسلة زمنيّاً. وتمّ اختيارها لما فيها من ترابُط موضوعي. وقد ورد في تفسيرها وجوهاً عدّة، أمكن الاستفادة منها في عرض حدث السيرة النبوية عرضاً متنوّعاً ومتكاملاً، بالاعتماد على كتب التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الفقهي.

وجاءت الدراسة بحسب التقسيم الآتي:

أوّلا: جمع الإشارات التي وردت في القرآن الكريم حول الموضوع الواحد، تبعا لترتيبها في المصحف لملاحظة التناسب والسياق والوحدة الموضوعية ، ثم تقسيمها لمجموعات.

تتميّز أحداث صلح الحديبية وفتح مكة بأنّها لم تتفرق في السّور بل جاءت كلّها مجتمعة في سورة واحدة، من الآية (18-28) في سورة الفتح. ويمكن تقسيمها إلى مجموعات موضوعية، بحسب الآتي:

1. المجموعة الأولى: تتضمن: بيعة الرضوان وآثارها: وردت في الآيات: 18 – 23 من سورة الفتح.
2. المجموعة الثانية: تتضمن: تأييد النّبيّ صلّى الله عليه وسلم وصحبه، وردت في الآيات: 24 – 26
3. المجموعة الثالثة: تتضمن: الوعد الحق، وردت في الآيتين: 27، 29

ثانياً: تفسير الحدث في النّص القرآني في إطار أسباب نزوله، والاستعانة بالمأثور لترتيب الأحداث وفق التّرتيب الزمني.

الحدث الأول: (رؤيا دخول المسجد الحرام)

يقول الله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} {الفتح27}.

رأى رسول الله –ﷺ – في منامه أنه يدخل مكة ويطوف بالبيت العتيق. وقد تظافرت أقوال المفسّرين على أنّ هذه الرؤيا وقعت في المدينة، قبل خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلم لأداء العمرة؛ ثمّ إنّ رسول الله –ﷺ – أخبر صحابته الكرام – رضوان الله تعالى عنهم – بها، فهمّوا لأداء العمرة؛ فكان خروجهم بعد زمنٍ، لم يُحدّد القرآنُ الكريمُ مُدّته. ذكر ذلك الطبري في روايته عن قتادة، وابن أبي زيد، وابن إسحاق.[23] وذهب إلى ذلك ابن كثير،[24] ورجّحهُ الألوسي، واعتُمدت هذه الرواية في كتب التفسير الأخرى.[25] بينما خالفت روايةُ مجاهد في تحديد وقت الرؤيا؛ فذكر أنها في الحديبية.[26] ورجّحها ابن حجر.[27]

أما دخول مكة فقد ذكر ابن كثير بأنّ الله –سبحانه وتعالى– قد جمع في الآية بين الرؤيا السابقُ زمنُها قبل مجيئه لأداء العمرة في العام السادس للهجرة الذي حدث فيه صلح الحديبية ونزلت فيه سورة الفتح، وبين التصديق اللاحق زمن وقوعِهِ؛ فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم أدّى عمرتهُ في شهر ذي القعدة في السنة السابعة للهجرة.[28] وذكر ابن كثير أنّ المنافقين لما مُنع رسول الله–ﷺ– من أداء العمرة حاولوا إيقاع الشّك في قلوب المسلمين.

جاء في الحديث الصحيح عن أبي وائل قال:"لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره، فقال: «اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما

وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصما إلا انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له».[29] وكذلك ما جاء في الصحيح في وصف حال عمر بن الخطاب ﷺ:" فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا، قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ .....، فخرج النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فلم يكلم أحدا منهم حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما".[30]

والرواية التي ذكرها الطبري وابن كثير هي جزء من رواية طويلة، ذكرها البخاري وغيره.[31] حيث ذكر البخاري الأحداث التي جرت بعد خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلم.[32]

الحدث الثاني (الخروج للعمرة وملاقاة الكافرين)

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(26)} {الفتح، 24- 26}

روى الطبري بسنده إلى المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم – رضي الله عنهما- أنهما قالا: "خرج رسولُ الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يُريد قتالاً، وساق الهديَ معه سبعين بُدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كلُّ بدنة[33] عن عشرة".[34] [35]

الحدث الثالث: نُصرة الله للمؤمنين وكفّ القتال.

أوردت كتب التفسير الرّوايات التي جاء فيها الصّلح وما سبقه من نيّة المشركين في قتال النّبي – صلّى الله عليه وسلم- بعد علمهم بخروجه لمكه؛ (بينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبّة نصح رسول الله صلى الله عليه و سلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت... فقال رسول الله ﷺ:" إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويُخلُّوا بيني وبين الناس فإن أظهر؛ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره..." فأنزل الله تعالى { وَهُوَ الَّذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ – حتى بلغ – الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت".[36]

في هذا الموقف الذي بركت فيه ناقةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم، علمَ عليه الصّلاةُ والسّلام أنّها لم تكن لتبرُك لولا أنّ الله تعالى حبسها، وأنّه سبحانه قد قضى أمراً؛ فما كان منه عليه الصّلاةُ والسلام إلا أن أعلن انقيادهُ لتلك المشيئة الخفيّة التي ألهمهُ الله عزّ وجل. وقد تجلّى بعضُ تلك الحكمةِ في حفظ دماء المسلمين من أهل مكّة مِمّن لا يزالون فيها، وحَفِظ أيادي صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قتلِهم بغير علم؛ فذلك ما أراده الله تبارك

وتعالى، ونصّت عليه الآية في قوله تعالى: {وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً} {الفتح، 25}.

قال الألوسي رحمه الله في تأويل هذه الآية: "وكانوا على ما أخرج أبو نعيم بسند جيد، وغيره عن أبي جمعة جنبذ بن سبع: تسعة نفر؛ سبعة رجال وهو منهم، وامرأتين، وقوله تعالى: {أن تطؤوهم} بدل اشتمال منهم، وجوّز كونه بدلاً من الضمير المنصوب في {تعلموهم} واستبعده أبو حيان. والوطء: الدوس، واستُعيرَ هنا للإهلاك، وهي استعارة حسنة واردة في كلامهم قديماً وحديثاً..."[37]

وروى الطبري بسنده إلى قتادة، قال في هذه الآية: "هذا حين رُدّ محمّد صلّى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكّة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يُؤذَوا أو يُوطئوا بغير علم، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم".[38] والمعرّةُ كما قال ابن زيد: "إثم بغير علم".[39]

الحدث الرابع: بيعة الرضوان

قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ} لقد تخلّل تلك الأحداث حدثٌ عظيم؛ هو "بيعة الرّضوان" ولم يرد في كتب التفسير تحديداً دقيقاً للزمن الذي تمّت فيه بيعة الرّضوان. وبالاستئناس بما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق،[40] اتضح أنها تمّت بعد انصراف عروة بن مسعود – مبعوث قريش – إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقبل مجيء سهيل بن عمرو الذي عقد الصلح مع رسول الله ﷺ . وهذا يُفيد أنّ قريش رغبت في الصلح على أثر بيعة الرضوان.

وقد روى الطبري بسنده عدّة أسباب لهذه البيعة ؛ فجاء في أحدها أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم– دعا خراش بين أميّة الخزاعي إلى مكة ليبلغهم ما جاء لأجله فعقروا جمل رسول الله ﷺ ، الذي ركبه خراش وأرادوا قتل خراش ثم خلوا سبيله.[41] وفي رواية أخرى أنّ رسول الله –ﷺ – دعا عمر ليبعثه إلى مكة ليبلغ قريشا، فقال عمر أدلك على رجل هو أعزّ بقريش مني ويقصد بذلك عثمان، فذهب عثمان لقريش وأخبرهم بأنّ رسول الله جاء للبيت مُعتمراً، فاستقبلوه وسمحوا له أن يطوف فأبى أن يطوف قبل رسول الله فاحتبسته قريش وبلغ رسول الله ﷺ بعد ذلك أن عثمان قد قتل، فنادى رسول الله – ﷺ– للبيعة.

روى الطبري بسنده إلى إياس بن سلمة، قال: قال سلمة: "بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ : أيّها النّاس: البيعة البيعة؛ نزل روحُ القدس صلوات الله عليه، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو تحت شجرة سمرة، قال: فبايعناه، وذلك قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينْ...الآية}.[42] فإنّ النّبي – ﷺ – لمّا رجع من الحديبية في ذي القعدة، رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحاً،... فلّما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي. فلما كان ﷺ قريباً من مرّ الظّهران بعث مُحَمَّد بن مسلمة بالخيل والسلاح أمامه. فلما رآه المشركون رعبوا رعباً شديداً وظنّوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكّة فلمّا جاء رسول الله ﷺ فنزل بمرّ الظّهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسيّ والنّبل والرّماح إلى بطن يأجج، وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قُرُبها كما شارطهم عليه، فلما كان في أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال: يا مُحَمَّد ما

عرفناك تنقض العهد، فقال صلّى الله عليه وسلم: "وما ذاك؟" قال: دخلت علينا بالسّلاح والقسيّ والرّماح، فقال عليه الصّلاة والسّلام: "لم يكن ذلك، وقد بعثنا به إلى يأجج". فقال: بهذا عرفناك بالبرّ والوفاء. وخرجت رؤوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وإلى أصحابه ﷺ غيظاً وحنقاً، وأما بقيّة أهل مكّة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فدخلها عليه الصلاة والسلام، وبين يديه أصحابه يلبّون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب على ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها..."[43]

ثالثا: دراسة أحداث السيرة بمراعاة النّظم والتناسب والدّلالات القرآنية

يُشير البقاعي إلى أن سورة مُحَمَّد التي جاءت قبل سورة الفتح كان فيها بشارة للمجاهدين بالنصر وإصلاح البال، وختمها بالتحريض على مجاهدة الكفار، فافتتحت سورة الفتح على طريق النتيجة لذلك مؤكدا إعلاماً بأنّ الفتح مما تبتهج له النفوس.[44]

ولإيضاح عنصر النّظم والتناسب تم الاقتصار على نموذج واحد، يوضّح جمال النظم، وصفة التناسب والدلالة القرآنية. قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} {الفتح، 27} وَجّه البقاعي رحمه الله تعالى مناسبة ورود هذه الآية فقال: "ولما قرّر سبحانه وتعالى عِلمُهُ بالعواقِب – لإحاطة علمه– ووجّهَ أسبابَ كَفِّهِ أيدي الفريقين، وبيّنَ ما فيهِ مِنَ المصالِح، وما في التَّسليطِ من المفاسد مِنْ قَتْلِ مَن حُكِمَ بإيمانِهِ مِنَ المشركين وإصابة مَن لا يَعلم مِنَ المؤمنين، وغيرِ ذلك إلى خَتْمٍ بإحاطَةِ عِلمِهِ المستلزِم لِشمول قُدرَتِه؛ أنتج ذلك قولُهُ لِمَنْ تَوقّع الإخبار عن الرُّؤيا التي أقلقهم أمرُها، وكادَ بعضُهم أن يُزلزِلُه ذكرُها، على سبيلِ التَّأكيد. {لقد} ولما كان للنظر إلى الرّؤيا اعتباران: أحدهما من جهة الواقع وهو غيب عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والآخر من جهة الإخبار وهو مع الرؤيا شهادة بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، عبّرَ بالصِّدقِ والحقّ، فقال: {صدق الله} أي الملك الذي لا كُفؤٌ له، المحيط بجميع صفات الكمال، رسولَ الله ﷺ الّذي هو أعزّ الخلائق عنده، وهو غني عن الإخبار عمّا لا يكون أنه يكون، فكيف إذا كان المخبّرُ رسوله صلّى الله عليه وسلم".[45]

هذا الوجه الذي ذكره البقاعي يُبيّن التّسلسُل الزّمني للأحداث وكيف يُحكمه نظمُ القرآن الكريم، الذي يُلحظُ فيه تسلسل الأحداث ذات الموضوع الواحد، وبناء اللاحق كنتيجة لابد منها للسابق، ولهذا جاء التصديقُ في الآية الكريم الكريمة مؤكداً أداء العمرة التي وُعِدَهَا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في قوله تعالى: {لَتَدْخُلُنّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ ... الآية} بعد أن نُهي عن قتال المشركين في مكّة المكرّمة.

وبهذا النموذج تكتمل محاولة تطبيق استمداد تاريخ السيرة النبوية من كتاب الله تعالى. وإن كانت هذه المحاولة مقتصرةٌ على الإشارة لهذا الموضوع العظيم، فإنها تهدف إلى الإلماح إلى الأسلوب المقترح الذي تراه مناسباً للإنطلاق في التعرّف على أحداث السيرة النبوية كما يعرضُها كتاب الله تعالى.

والحمدُ لله تعالى على فضلِهِ وإحسانه، وهو المسؤول أن يوفقنا إلى سواء السبيل.

الخاتمة:

الحمدُ لله الذي بفضلهِ تتِمُّ الصالحات، والصّلاةُ والسّلامُ الأتمّان الأكملان على رسول الهدى، مُحَمَّد بن عبد الله

وعلى آله وصحبه ومن والاهُ واتّبع هُداه، وبعد،،،

السيرة النّبويّة أمانةٌ عظيمة، وهي مفتاحٌ لكلّ خير؛ فالناظرُ فيها يسعدُ، والآخذ منها يغتني، والواعظُ بها يُرفع. وقد ألهم الله تعالى عباده – على مرّ التاريخ – أن يبذلوا جهدهم في خدمتها، وإحكامِ عرضها، وتخليصها من الشوائب التي قد تُلحق بكتابتها. وقد جاء هذا البحث لينال من ذلك الطيب نصيباً. وبعد المسيرِ في ظلال السيرة العطرة توصّل البحثُ إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1. إنّ استقاء السّيرة العطرة من كتاب الله تعالى يقتضي ربطُها بالمأثور في تفسير القرآن الكريم، وبما استعان به المفسّرون من أصول اللغة العربية وقواعدها، وبما استنبطهُ البلاغيّون من كتاب الله تعالى، أي مِمّا تؤدّي إليه البلاغة القرآنية من المعاني.
2. وإنّ استقاء السيرة العطرة من كتاب الله تعالى يقتضي تأليف سِفرٍ ضخم، يفي بحاجة الدمج بين أحداث السيرة النبويّة، وبين الأسرار الإيمانيّة والحكم الإلهية في تسيير أمور رسول الله ﷺ ، وصحابته الكرام رضوان الله تعالى عنهم، وتدبير رِفعة الإسلام.
3. إنّ هدي القرآن العظيم، وهدي السّنة النبويّة، متكاملان في عرض السيرة النبويّة، وبيان جوانبها العديدة التي لم يتيسّر بعضها لِكُتّاب السّير والمغازي.
4. إنّ تعدُّد وتنوّع مناهج المفسرين في عرض السيرة النبوية تُساعد إلى حدّ كبير في إيضاح تاريخ السّنّة المطهّرة وأحداثها، كما تُساعد على إحكام ربط الموضوعات المتفرّقة في القرآن الكريم بتسلسل منطقي.
5. إنّ الكتب المؤلفة في السيرة النبوية باعتماد القرآن الكريم مصدراً لها، لم تفِ بمعالم السيرة كما يؤمّلُ الناظر في كتاب الله تعالى المتدبّر لآياته.

ثانياً: التوصيات:

1. إن تأليف كتابٍ شاملٍ للسيرة النبويّة، باعتماد القرآن الكريم مصدراً له، أمرٌ بالغ الأهميّة؛ ويقتضي عملاً جماعيّاً، يجتمع فيه علماءُ الأمّة من أهل التفسير، والحديث، واللغة، وكذا علماء التربية، وعلماء الفلسفة؛ لمحاولة الإيفاء ببعض وجوه الإعجاز القرآني في عرض السيرة النبويّة.
2. إنّ التأليف في السيرة النبويّة باعتماد القرآن الكريم مصدراً لها؛ يقتضي مراعاة التنوّع في إيراد أحداثها؛ بمعنى أن يستوعب المؤلَّف أقساماً تُساعد على تصنيفها في وحداتٍ موضوعيّة تنظر في أسلوب معالجة القرآن الكريم لها؛ للربط بين ما يُثبتُه القرآن الكريم من الأحداث، وبين الحِكَم الإلهية في إيرادها.
3. إن كُتّاب السّيرة النبويّة اعتمدوا منهجاً واحداً في إيرادها، وكشفت هذه الدراسة عن إمكان تنويع المناهج في كتابتها، وهو أمرٌ من الأهميّة بمكان؛ لما سيُقدِّمُهُ من عونٍ للدارسين في التخصصات الشرعيّة الأخرى – لا سيما الفقه – وذلك بتحقيق الاستقلالية الموضوعية، أي ببناء وحداتٍ موضوعية، من جهة. ومن جهة أخرى بتحقيق التسلسل الزمني الموضوعي لها.

CC BY

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش (References)

[1] مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول ﷺ ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، دار الفكر العربي، ط 2، 1977م، ص: 4

Muḥammad Ismā'īl Ibrāhīm, *Sīrah al Rasūl wa Ma'ālimaha min al Qur'ān al Karīm*, (Beirut: Dār al Fikr , 2nd Edition, 1977), p: 4

[2] انظر لسان العرب للإمام ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1999م. مادة "سير" 6:454.

Ibn Manẓūwr, *Lisān al 'Arab*, (Beirut: Dār Iḥyā' al Turath al 'Arabī, 3rd Edition, 1999), 6: 454

[3] د. عطية مختار عطية حسين، مصادر السّيرة النّبوية بين المحدّثين والمؤرخين، ص: 6.

Dr. 'Aṭiyah Ḥusayn, *Maṣādir al Sīrah al Nabawiyyah bayn al Muḥaddithīn wal Mu'arrikhīn*, p: 6

[4] مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول ﷺ ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص: 4.

Muḥammad Ismā'īl Ibrāhīm, *Sīrah al Rasūl wa Ma'ālimaha min al Qur'ān al Karīm*, p: 4

[5] مجموعة المتخصصين، دراسات في السّيرة النّبوية، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرّياض 2017. ص: 60.

Group of Scholars, *Dirāsāt fil Sīrah al Nabawiyyah*, (Riyadh: Dār Jāmi'ah al Malik Sa'ūd, 2017), p: 60

[6] مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول ﷺ ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص: 11.

Muḥammad Ismā'īl Ibrāhīm, *Sīrah al Rasūl wa Ma'ālimaha min al Qur'ān al Karīm*, p:

[*] أستُفيد ترتيب الأحداث في هذا المبحث من الترتيب الزمني الوارد في كتاب دراسات في السيرة النبوية، ص: 13 وما بعدها.

Group of Scholars, *Dirāsāt fil Sīrah al Nabawiyyah*, p: 13

[7] د. عصام بن عبد المحسن الحميدان، كتاب السيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير، ص: 12.

Dr. 'Iṣām bin 'Abd al Muḥsin, *Al Sīrah al Nabawiyyah min Khilāl Ahamm Kutub al Tafsīr*, p: 12

[8] د. فاروق حمادة، مصادر السيرة النّبويّة وتقويمها، دار الثقافة، الدار البيضاء. ط 2، 1989م، ص: 39.

Dr. Farūq Ḥammadah, *Maṣādir al Sīrah al Nabawiyyah wa Taqwīmuhā*, (Dār al Thaqāfah, Al Dār al Baydhā', 1989), p: 39

[9] د. عبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، السنة الأولى، رمضان 1402هـ، العدد (1) دط. ص: 11.

Dr. 'Abd al Ṣabūr Marzūq, *Al Sīrah al Nabawiyyah fil Qur'ān al Karīm*, (Muslim World League, Silsilah Da'wah al Ḥaq, 1st Year, Ramadhān 1402), p: 11

[10] منشورات المكتبة العصرية، بيروت. دت، دط.

[11] جامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، دارالكتب العلمية بيروت، ط 1، 2000م، حديث رقم: 3086.

Al Tirmidhī, Muḥammad bin 'Esa, *Al Sunan*, (Beirut: Dār al Kutub al 'Ilmiyyah, 1st Edition, 2000), Ḥadīth # 3086

[12] كتاب الكتروني، لم تُحدد فيه المعلومات النشرية؛ فخلا من ذكر دار النشر، والطبعة وسَنَتُها.

[13] د. عبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، ص: 52، 55، 82، 84، 85، 87، 90، 91.

Al Sīrah al Nabawiyyah fil Qur'ān al Karīm, p: 52,55, 82, 84, 85, 87, 90, 91

[14] المرجع السابق، ص: 30.

Ibid., p: 30

[15] المرجع السابق، ص: 34، 35.

Ibid., p: 34, 35

[16] عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 2: 10. وذكره ابن حجر في المطالب العالية، كتاب التفسير، باب سورة يس، دار العاصمة، السعودية، ط 1، 1419هـ، حديث رقم: 3691.

Ibn Hishām, *Al Sīrah al Nabawiyyah*, (Shirkah al Ṭabā'ah al Fanniyyah), 2: 10. Ibn Ḥajar, *Al Maṭālib al 'Āliyah*, (KSA: Dār al 'Āṣimah, 1st Edition, 1419), Ḥadīth # 3691

[17] انظر ص: 86، 87. وانظر أيضاً في الصفحة المذكورة كلامه حول مضمون سورة الكافرون.

Ibid., p: 86, 87

[18] عبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، ص: 167

Al Sīrah al Nabawiyyah fil Qur'ān al Karīm, p: 167

[19] المرجع السابق، ص: 87، 88.

Ibid., p: 87, 88

[20] د. عصام بن عبد المحسن الحميدان، السيرة النبويّة من خلال أهمّ كتب التفسير، ص: 11. عزى تقسيم المباحث إلى كلام حاجي خليفة في حاشية كشف الظنون، ص: 12.

Al Sīrah al Nabawiyyah min Khilāl Ahamm Kutub al Tafsīr, p: 12.

[21] السيرة في ظلال القرآن، ص: 10.

Al Sīrah fī Dhilāl al Qur'ān, p: 10

[22] المرجع السابق، ص: 11. بتصرّف.

Ibid., p: 11

[23] الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، 2009م، دط، 13: 125، 126.

Al Ṭabarī, Ibn Jarīr, *Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān*, (Beirut: Dār al Fikr, 2009), 13: 125, 126

[24] اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1988م، 4 : 202.

Ismā'īl bin Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al Aẓīm*, (Beurit: Dār al Jiyal,1st Edition,1988), 4: 202

[25] البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل واسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 5: 131.

Al Bayḍāvī, 'Abdullah bin 'Umar, *Anwār al Tanzīl wa Asrār al Ta'vīl*, (Beirut: Dār Iḥyā' al Turath al 'Arabī), 5: 131

[26] جامع البيان: 26: 125.

Al Ṭabarī, Ibn Jarīr, *Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān*, 26: 125

[27] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، دار الفكر، بيروت، دط، 1995م. 14:386.

Al 'Asqalānī, Aḥmad bin 'Alī bin Ḥajar, *Fatḥ al Bārī*, (Beirut: Dār al Fikr , 1995), 14: 386

[28] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4:203

Ibn Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al Aẓīm*, 4: 203

[29] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم: 4189.

Ṣaḥīḥ Al Bukhārī, Ḥadīth # 4189

[30] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم:2581، والرواية من طريق المسور

ومروان يصدق بعضهما بعضا ذكروا أحداث الحديبية بقصتها وتفصيلها من بداية خروج النبي ﷺ للحديبية إلى الصلح.
Ṣaḥīḥ Al Bukhārī, Ḥadīth # 2581

[31] تفسير ابن كثير، 4: 197 وما بعدها.

Ibn Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al Aẓīm*, 4: 197

[32] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم:2581.

Ṣaḥīḥ Al Bukhārī, Ḥadīth # 2581

[33] بدنة: البدنة من الإبل والبقر: كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكة، الذكر والأنثى في ذلك سواء. قال الجوهري: البُدنة: ناقة أو بقرة تُنحر بمكة، سميت بذلك لأنهم كانوا يُسمّنونها، والجمعُ "بُدُن" وبُدنٌ ، ولا يُقال في الجمع " بَدَنٌ " (اللسان – بدن) منقول من اختيا المحقق في هامش الصفحة رقم: 111 من كتاب الطبري، الجزء السادس والعشرون.

[34] جامع البيان، 26: 111.

Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān, 26: 111

[35] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم:2581.

Ṣaḥīḥ Al Bukhārī, Ḥadīth # 2581

[36] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم:2581.

Ṣaḥīḥ Al Bukhārī, Ḥadīth # 2581

[37] روح المعاني، 26: 171.

Al Ālūsī, *Rūḥ al Ma'ānī*, 26: 171

[38] جامع البيان، 26: 129.

Al Ṭabarī, *Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān*, 26: 129

[39] المرجع السابق.

Ibid.

[40] انظر سيرة ابن هشام، 3: 314 – 316 . هذه النسخة بتحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، طبعة: المكتبة العلمية، بيروت.

Ibn Hishām, *Al Sīrah al Nabawiyyah,* (Beirut: Dār al Kutub al 'Ilmiyyah), 3: 314 - 316

[41] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 26:99.

Al Ṭabarī, Ibn Jarīr, *Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān*, 26 : 99

[42] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 26: 100.

Al Ṭabarī, Ibn Jarīr, *Jāmi' al Bayān 'an Ta'wīl Āyī al Qur'ān*, 26: 100

[43] تفسير القرآن العظيم 4: 203. البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل، حديث رقم: 2880

Ibn Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al Aẓīm*, 4: 203

[44] نظم الدرر، للبقاعي: 18:274.

Al Baqā'ī, *Naẓm al Durar*, 18: 274

[45] المرجع نفسه: 18:332، 333.

Ibid., 18: 332, 333